التناسب في القرآن الكريم

سورة الطارق – أنموذجاً–

إعـداد

د . حذيفة عبود مهدي السامرائي

المدرس بكلية الإمام الأعظم / فرع سامراء

dr.huthaifa81@gmail.com

issn :2071-6028

issn :2071-6028

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء المرسلين و سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين .. وبعد:

فان الله عز وجل قد أنزل القرآن الكريم ، بلسان عربي مبين ، وجعله محكماً فقال تعالى: **﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾**(١) ، وجعله معجزاً؛ تحدى به العرب أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله ، فقال سبحانه وتعالى **﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾**(٢) .

ومما لا شك فيه أن من مقومات هذا الإعجاز هو فصاحته وبلاغته ، والارتباط اللفظي والمعنوي بين آي وسور الذكر الحكيم ، وهذا الارتباط بين الآي والسور هو ما يسمى بالتناسب: والذي يبين لنا أن القرآن الكريم يشكل وحدة نسقية ، فهو بناء فكري ولغوي متكامل وشامل ومستقل بذاته.

وقد انتبه العلماء والمفسرون إلى ذلك ، وقاموا بإعمال هذا البناء البياني لاستنباط مراد الله تعالى من الخطاب القرآني ، فكانت أحد أدوات التفسير هو: تفسير القرآن بالقرآن ، ذلك أن القرآن لا يمكن فهمه باجتزاء النص القرآني عن سياقه اللغوي ، بل لا بد من استحضار ما قبل النص وما بعده إذا أردنا أن ندرك مراد الله تعالى من الخطاب القرآني ، بطريقة علمية وموضوعية ، فالقرآن الكريم لا يمكن فهم إحدى جزئياته إلا في إطاره الكلي .

وفي هذا البحث سأقوم بخوض غمار هذا العلم الواسع ، والإطلالة عليه دراسة لسورة الطارق ، وبيان التناسب بين الآيات في هذه السورة .

اشتملت خطة البحث على مقدمة ، وأربعة مباحث ، كل مبحث يحوي على مطالب عدة، وخاتمة ، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: مقدمة في علم المناسبات .. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات .

المطلب الثاني: أهميته ، وفائدته .

المطلب الثالث: أنواع المناسبات في القرآن الكريم .

المبحث الثاني: بيان المعنى العام لسورة الطارق .. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الكلمات الغريبة في السورة.

---

(١) هود: ١ .

(٢) البقرة: ٢٣ .

issn :2071-6028

المطلب الثاني: المعنى العام للسورة.

المبحث الثالث: التناسب بين الآيات بعضها مع بعض في سورة الطارق .

المبحث الرابع: تناسب السورة مع ما قبلها وما بعدها وموضوعها .. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تناسب السورة مع ما قبلها وما بعدها .

المطلب الثاني: مناسبة بداية السورة مع موضوعها .

ثم الخاتمة في أهم النتائج .

هذا، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، إنه سميع مجيب.

الباحث

المبحث الأول
مقدمة في علم المناسبات

وفيه ثلاثة مطالب
المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات :

المناسبة في اللغة: المشاكلة والمقاربة ، تقول: ليس بينهما مناسبة ؛ أي مشاكلة[1]. وقد أصل هذا المعنى ابن فارس في معجمه فقال: ((النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء. منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به. تقول: نسبت أنسب. وهو نسيب فلان. ومنه النسيب في الشعر إلى المرأة، كأنه ذكر يتصل بها))[2] .

ويعرف الزركشي المناسبة في اللغة بقوله: ((والمناسبة في اللغة المقاربة وفلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاكله ، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة. ومنه المناسبة في العلة في باب القياس: الوصف المقارب للحكم لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ، ولهذا قيل

(١) ينظر: الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري ، ط: دار العلم للملايين- بيروت ، ٤ ، ١٩٩٠، ٢٤٥/٢ ، لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ط: دار صادر – بيروت /١ ، ٤٠٤/٦ ، مادة (نسب) .

(٢) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت : عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٤٢٣/٥ .(نسب)

issn :2071-6028

المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول ، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها)) [١].

علم المناسبة في الاصطلاح: عرفه البقاعي بأنه: ((علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال))[٢].

وعُرف أيضاً: بأنه علم يعرف به ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة المباني ، يربطها رابط عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي ، أو غيره من أنواع العلاقات أو التلازم [٣].

المطلب الثاني: أهميتـه ، وفائدتـه :

١. أهميته:

تتضح أهمية هذا العلم بأنه يظهر وجهاً من أوجه الإعجاز القرآني في تألف ألفاظه ، وترتيب نظمه ، ويبين الترابط والتناسق بين آياته وسوره .

وقد تنبه العلماء قديماً إلى أهمية هذا العلم ، وكان أبو بكر النيسابوري يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة[٤]، وهو أول من أظهر هذا العلم في بغداد، وكان إذا أراد تفسير كتاب الله يقول: ((لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ، وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة))[٥] .

وبين أبو بكر بن العربي صاحب كتاب (أحكام القرآن) ، أهمية هذا العلم ، حيث قال:((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني ، منتظمة المباني علم عظيم))[٦] فوصفه لعلم المناسبات بأنه علم عظيم ، يبين أهميته ومنزلته .

---

(١) البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩١ ، ١ / ٦١ .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، ت: عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥، ١ / ٥ .

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١ / ١٣١ ، الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت: سعيد المندوب ، ط: دار الفكر ، ١٩٩٦ ، ٢ / ٩٧٨ .

(٤) الإتقان في علوم القرآن: ٣٦٩/٣ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) قال ذلك في كتابه: (سراج المريدين) ، ونقل ذلك عنه الزركشي والسيوطي ، ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١ / ١٣٢ ، الإتقان في علوم القرآن: ٩٧٦/٢ .

issn :2071-6028

وقد صرح الإمام الرازي في آخر سورة البقرة بأهمية هذا العلم فقال: ((ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار ، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار صورته ... والذنب للطرف لا للنجم في الصغر[١]))[٢].

٢. فائدته:

لعلم المناسبات بين الآيات والسور فائدة كبيرة لا تخفى على ذي علم ، فهو يساعد على حسن التأويل ، ودقة الفهم. وإدراك اتساق المعاني ، وإعجاز القرآن البلاغي ، وإحكام بيانه ، وانتظام كلامه ، وروعة أسلوبه.

وقد بين العلماء فائدة هذا العلم ، فقال الزركشي: ((وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء))[٣].

وقد ذكر الأستاذ نور الدين عتر عدة فوائد لعلم المناسبات ، منها:

أ- إن بيان مناسبة السورة لما قبلها أو الآيات لما قبلها ، خطوة هامة في تفسير القرآن الكريم تلقي الضوء على غرض السورة أو الآية ومقصودها ، مما يعطي فكرة واضحة للمفسر.

ب- يساعد على حل المشكلات في تفسير القرآن ، ويرسخ الاعتقاد بإعجاز القرآن الكريم[٤] ، وغير ذلك .

---

(١) هذا البيت لأبي العلاء المعري: ينظر: كتاب الكشكول: الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي ، ت: محمد عبد الكريم النمري ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان /١، ١٤١٨هـ –١٩٩٨م ، ٣٠٦/١ .

(٢) تفسير الفخر الرازى (مفاتيح الغيب): الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط: المكتبة التوفيقية –القاهرة ، ٧ / ١٧٨ ، وينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٩٧٧/٢

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١ / ١٣٦ .

(٤) ينظر بحثه: علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم د نور الدين عتر نشر بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ، عدد ١١ / ١٩٩٥ / ص٨٣ .

issn :2071-6028

المطلب الثالث: أنواع المناسبات في القرآن الكريم .

من خلال البحث في كتب هذا العلم ، تبين لنا أن المناسبات في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع:

١. مناسبة الآيات مع بعضها ، بحيث تشكل الوحدة الموضوعية للسورة .

٢. مناسبة السورة مع بعضها ، بحيث تجعل القرآن الكريم كالكلمة الواحدة .

٣. مناسبة فواتح السور لخواتمها[١] .

المؤلفات في علم المناسبات :

هناك العديد من المؤلفات في هذا العلم ، قديماً وحديثاً ، منها :

١. البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن: لأبي جعفر بن الزبير .

٢. نظم الدرر في تناسب الآي والسور: للشيخ برهان الدين البقاعي .

٣. تناسق الدرر في تناسب السور: للإمام السيوطي .

٤. مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع : للإمام السيوطي .

٥. جواهر البيان في تناسب سور القرآن: عبد الله الغماري .

٦. إمعان النظر في نظام الآي والسور: د. محمد أسد سبحاني .

٧. التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم: د.فاضل السامرائي .

٨. المناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية: د.مصطفى شعبان عبد الحميد .

---

(١) للاطلاع على تفصيل أنواع المناسبات يراجع: بحث الدكتور نور الدين عتر، (أثر المناسبة في كشف إعجاز القرآن) مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي / عدد ١٣ / ١٩٩٦ / ص٦٢ . وكتاب محاضرات في علوم القرآن: د.فضل حسن عباس ، ط: دار النفائس-عمان/١ ، ٢٠٠٧ . ص٧٦ ، ومراصد المطالع: للإمام السيوطي ، مقدمة المحقق د. محمد يوسف الشربجي ، وقد توسع في تفصيل أنواع المناسبات إلى فروع كثيرة ، د.مصطفى شعبان ، في كتابه: المناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية: د.مصطفى شعبان عبد الحميد ، ط: المكتب الجامعي الحديث ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٧ .

issn :2071-6028

المبحث الثاني
بيان المعنى العام لسورة الطارق

وفيه مطلبان:

المطلب الاول: الكلمات الغريبة في السورة:

١. الطارق :

جاء في تاج العروس: ((والطّارِقُ : النّجْمُ الذي يُقال له: كوكَبُ الصُبْح ، ومنه قولُه تَعالى: والسّماءِ والطّارِق ، سُمّيَ به لأنه يطرُقُ باللّيلِ. وقال الراغبُ: وعبّر عن النّجم بالطّارِقِ لاختِصاص ظُهورِه باللّيْل))[١] .

وذكر الألوسي في تفسيره: أن((الطارق: هو في الأصل اسم فاعل من الطرق؛ بمعنى الضرب بوقع أشده يسمع لها صوت ، ومنه: المطرقة والطريق؛ لأن السابلة تطرقها ، ثم صار في عرف اللغة: اسماً لسالك الطريق لتصور أنه يطرقها بقدمه ، واشتهر فيه حتى صار حقيقة ، ثم اختص بالآتي ليلاً؛ لأنه في الأكثر يجد الأبواب مغلقة فيطرقها ، ثم اتسع في كل ما يظهر بالليل كائناً ما كان ، حتى الصور الخيالية البادية فيه ... والمراد به ههنا عند الجمهور: الكوكب البادي بالليل ، إما على أنه اسم جنس ، أو كوكب معهود))[٢] .

٢. الثاقب:

ورد في كتاب الصحاح في اللغة: أن الثاقب: هو المضيء[٣]. وبهذا المعنى نفسه جاء في تاج العروس .

وجاء في روح المعاني: ((والثاقب: في الأصل الخارق ، ثم صار بمعنى المضيء؛ لتصور أنه يثقب الظلام ، وقد يخص بالنجوم والشهب لذلك وتصور أنها ينفذ ضوءها في الأفلاك ونحوها. وقال الفراء الثاقب: المرتفع ، يقال ثقب الطائر أي ارتفع وعلا)) [٤].

٣. دافق:

جاء في مختار الصحاح: ((دَفَقَ الماء: صبه ، وبابه: نصر ، فهو ماء دافِقٌ؛ أي مدفوق ، كسر كاتم أي مكتوم ، والانْدِفَاقُ: الانصباب ، والتَّدَفُّقُ: التصبب ، وجاء القوم دُفْقَةً واحدة بالضم؛ أي جاءوا بمرة واحدة))[٥] .

---

(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي ، ط: دار الهداية ،٢٦/ ٦٦ (طرق).

(٢) روح المعاني: ١٦ / ١٦٩ .

(٣) ينظر: الصحاح في اللغة: ٣ / ٢١٩ ، وتاج العروس: ٢ / ١٠٠ (ثقب).

(٤) روح المعاني: ١٦ / ١٧٠ .

(٥) مختار الصحاح: ص ٢١٨ (ثقب).

issn :2071-6028

وقد ورد في البحر المحيط: أن الدافق: هو بمعنى مدفوق. وعن ابن عباس: بمعنى دافق لزج وكأنه أراد بذلك وصفه لا أنه موضوع في اللغة لذلك ، والدفق: الصب ، فعله متعد. وقال ابن عطية: والدفق: دفع الماء بعضه ببعض ، وتدفق الوادي والسيل؛ إذا جاء يركب بعضه بعضاً. ويصح أن يكون الماء دافقاً ، لأن بعضه يدفع بعضاً ، والمحفوظ في اللغة في معنى دفق: أنه الصب ، لا ما فسر به من قوله: والدفق دفع الماء بعضه ببعض [١].

٤. الصلب:

الصُّلْبُ والصُّلَّبُ: عَظْمٌ من لَدُنِ الكاهِل إِلى العَجْب ، والجمع: أَصْلُب وأَصْلاب وصِلَبَةٌ ، أَنشد ثعلب:

أَما تَرَيْني اليَوْمَ شَيْخاً أَشْيَبَا ... إِذا نَهَضْتُ أَتَشَكَّى الأَصْلُبا

والصُّلْب: من الظَّهْر ، وكُلُّ شيء من الظَّهْر فيه فَقَارٌ فذلك الصُّلْب ، وفي الحديث: ((إِنَّ الله خَلَقَ للجَنَّةِ أَهْلاً خَلَقَها لَهُم وهُمْ في أَصلاب آبائِهِم))[٢][٣].

وقد ذكر الآلوسي في معنى الصلب نفس المعنى الذي تقدم ، فقال: ((من بين أجزاء صلب كل رجل؛ أي: ظهره))[٤].

٥. الترائب:

الترائب: عظام الصدر ، وقيل ما بين الثديين. وقال أهل اللغة: الترائب: موضع القلادة من الصدر[٥].

وجاء في روح المعاني: أن الترائب: ((عظام الصدر ، وقيل: ما بين الثديين ، وقيل: ما بين المنكبين والصدر ، وقيل: التراقي ، وقيل: أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته ، وعن ابن جبير: الأضلاع التي هي أسفل الصلب ، وحكى ملكي عن ابن عباس: أنها أطراف المرء ويداه وعيناه. والأشهر أنها: عظام الصدر وموضع القلادة منه)) [٦].

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط: ١٠ / ٤٥١ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، رقم ٢٦٦٢ / ٤/ ٢٠٥٠ .

(٣) ينظر: لسان العرب: ١ / ٥٢٦ (صلب).

(٤) روح المعاني: ٣٠/٩٧ .

(٥) ينظر لسان العرب: ١ / ٢٧٧ (ترب).

(٦) روح المعاني: ١٦ / ١٧٥ .

issn :2071-6028

٦. السرائر:

جاء في البحر المحيط: أن السرائر هي: ما أكنته القلوب من العقائد والنيات ، وما أخفته الجوارح من الأعمال ، والظاهر عموم السرائر ، وقد سمع من يقول:[١]

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا ... سريرة ودّ يوم تبلى السرائر.[٢] .

٧. الصدع:

الصدع: الشق ، يقال: صدعته فانصدع هو؛ أي أنشق[٣]. والصدع: ما في الأرض من شقاق وأودية[٤] .

٨. رويداً:

رويداًً: ((إمهالا يسيراً ، ولا يتكلم بها إلا مصغرة ، وهى من رادت الريح ترود روداً؛ تحركت ضعيفة)) [٥].

المطلب الثاني : المعنى العام للسورة:

سورة الطارق من السور المكية بلا خلاف ، وهي سبع عشرة آية على المشهور ، وفي التيسير ست عشرة [٦].

جاء في تفسير البغوي: أن هذه السورة نزلت في أبي طالب وذلك أنه أتى النبي ﷺ فأتحفه بخبز ولبن، فبينما هو جالس يأكل إذا انحط نجم فامتلأ ماءً ثم نارًا، ففزع أبو طالب وقال: أي شيء هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: هذا نجم رُمي به، وهو آية من آيات الله ﷻ فعجب أبو طالب فأنزل الله ﷻ: "والسماء والطارق" [٧].

---

(١) هذا البيت هو للأحوص ، ومن أجله نفاه عمر بن عبد العزيز إلى دهلك: وهي من قرى اليمن على ساحل البحر .ينظر: اللآلي في شرح أمالي القالي ، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، ٧٨٦/٢. مصارع العشاق: أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسيني السراج القارئ ، ٢ / ١٦١ .

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط: ١٠ /٤٥٢ .

(٣) ينظر: الصحاح في اللغة: ٣٧٦/٤ (صدع).

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٧٩/١٦.

(٥) تفسير النسفي: ٤ / ٣٤٨ .

(٦) ينظر: تفسير الآلوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني): محمود الآلوسي البغدادي أبو الفضل ط: دار الفكر–لبنان . ١٦٩/١٦ ، تفسير البحر المحيط: العلامة أبو حيان الأندلسى ، ط: دار الفكر ١٤١٣هـ . ٤٤٩/١٠ .

(٧) هذا الحديث قد ذكر في كثير من كتب التفسير ، وقال عنه محقق تفسير البغوي: عبد الرزاق المهدي: ((باطل لا أصل له. عزاه المصنف للكلبي، وسنده إليه أول الكتاب، وهذا معضل، والكلبي كذاب يصنع الحديث)) .تفسير البغوي بتحقيق عبد الرزاق مهدي:٥ / ٢٣٨.

issn :2071-6028

﴿وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ﴾: ((طرق يطرق طروقاً: أتى ليلاً ، قال امرؤ القيس: فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع[١]. وأصله الضرب ، لأن الطارق يطرق الباب ، ومنه المطرقة: وهي المبيعة ، واتسع فيه فكل ما جاء بليل يسمى طارقاً ، ويقال: أطرق فلان: أمسك عن الكلام، وأطرق بعينيه: رمى بهما نحو الأرض))[٢].

والسماء: هي المعروفة على ما عليه الجمهور ، وقيل: المطر هنا ، وهو أحد استعمالاتها. أقسم الله سبحانه وتعالى بها ، وذلك لأنها معظمة في أعين الخلق ، لكونها معدن رزقهم ، ومسكن ملائكته ، وفيها خلق الجنة ، فأقسم بها وبالطارق.

والطارق: المراد به جنس النجوم ، أو جنس الشهب التي يرجم بها لعظم منفعتها[٣].

وذكر الأمام الطبري في تفسيره: أن الله قد أقسم بالسماء وبالطارق: وهو الذي يطرق ليلاً من النجوم المضيئة، ويخفى نهاراً. وكل ما جاء ليلاً فقد طرق[٤].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾: استفهام للتفخيم والتعظيم ؛ أي: وما أشعرك يا محمد ما الطارق الذي أقسمت به ، وما حقيقته؟ ثم فسره بقوله: **﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾**: أي النجم المضيء الذي يثقب الظلام بضيائه[٥] .

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾: جواب قسم ، أي: كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ، ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر. قال ابن عباس: ((هم الحفظة من الملائكة)) ، كما قال تعالى: { وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين }[٦]، وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: ((وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً[٧]))

---

(١) جزء من بيت لأمرئ القيس ، ونص البيت هو:
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محول. ينظر خزانة الأدب:٢/٢٦٤

(٢) تفسير البحر المحيط: ١٠ / ٤٤٨ .

(٣) ينظر: روح المعاني: ١٦٩/١٦ ، تفسير النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي ، ط: دار الكتاب العربي–بيروت. ٣٤٧/٤ .

(٤) ينظر: تفسير الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، ط: دار ابن حزم/١ ، ٢٠٠٤ ، ١٧٧/٥ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه ، وصفوة التفاسير: الشيخ محمد علي الصابوني ، ط: دار الرشاد ١٩٨٨ ، ٣ / ٥٤٥ .

(٦) سورة الانفطار: ١٠ – ١١ .

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط: مكتبة العلوم والحكم – الموصل/٢ ، ١٩٨٣ ، رقم٨/٧٧٠٤ / ١٦٧ ، قال الزيلعي: ((أخرجه الطبراني في " معجمه " عن عفير بن معدان – وهو ضعيف)) نصب الراية لأحاديث الهداية: عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي ، ت : محمد يوسف البنوري ، ط: دار الحديث – مصر ، ١٣٥٧ ، ١/ ٣١٤ .

issn :2071-6028

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾: أي فليتفكر من أي شيءٍ خلقه ربه ، فيه تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه ، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد ، لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى(١) .

﴿خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ﴾: جواب للاستفهام السابق ، ((أي خلق من المني المتدفق ، الذي ينصب بقوة وشدة في رحم المرأة ، يتدفق من الرجل والمرأة فيتكون منه الولد بإذن الله))(٢) .

﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾: ((يعني صلب الرجل وترائب المرأة ، والترائب: جمع التربية؛ وهي عظام الصدر والنحر. قال ابن عباس: هي موضع القلادة من الصدر. وروى الوالبي عنه: بين ثديي المرأة. وقال قتادة: النحر، وقال ابن زيد: الصدر)) (٣).

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾: قال ابن كثير في بيان معنى الرجوع المذكور في الآية: ((فيه قولان: أحدهما: على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك ، قاله: مجاهد وعكرمة وغيرهما.

والقول الثاني: إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق –أي إعادته وبعثه إلى الدار– الآخرة لقادر ، لأن من قدر على البداءة قدر على الإعادة ، وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع ، وهذا القول قال به: الضحاك واختاره ابن جرير)) (٤).

وقد ذكر الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: أنه خطاب للناس ، أن الذي خلقكم من هذا الماء الدافق ، فصوركم وأحسن صوركم ، بعد أن كنتم ماء مدفوقاً ، على رجعه لقادر .

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾: ((أي يتعرف ويتصفح ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها ، ومما أخفى من الأعمال ، ويميز بين ما طاب منها وما خبث ، وأصل الابتلاء: الاختبار؛ وإطلاقه على ما ذكر إطلاق على اللازم ، وحمل السرائر على العموم هو الظاهر ، وأخرج ابن المنذر عن عطاء ويحيى بن أبي كثير: أنها الصوم والصلاة والغسل من الجنابة ، وأخرج البيهقي في الشعب عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ ضمن الله تعالى خلقه أربعاً:

الصلاة والزكاة وصوم رمضان والغسل من الجنابة؛ وهن السرائر التي قال الله تعالى يوم تبلى السرائر (٥))) (٦).

---

(١) صفوة التفاسير: ٥٤٥/٣ .

(٢) تفسير البغوي: ٢٣٩/٥ .

(٣) تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، ط: دار القلم/٢ ، ٤٣٥/٤.

(٤) ينظر تفسير الطبري: ١٥ / ١٨٢ .

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ت : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت/١ ، ١٤١٠هـ . رقم ٢٧٥١ / ٣ / ٢٠ .

(٦) روح المعاني: ١٧٧/١٦ .

issn :2071-6028

يوم تبلى السرائر: ((وذلك يوم القيامة ، قيل معناه: تظهر الخبايا. وقيل معنى تبلى: تختبر ، وقيل السرائر: هي فرائض الأعمال كالصوم ، والصلاة، والوضوء ، والغسل من الجنابة ، فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربّه عزّ وجلّ ، وذلك لأن العبد قد يقول صليت ولم يصلِّ ، وصمت ولم يصم ، واغتسلت ولم يغتسل ، فإذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من أداها ومن ضيعها. قال عبد الله بن عمر: يبدي الله تعالى يوم القيامة كل سر ، فيكون زيناً في وجوه وشيناً في وجوه ، يعني من أدى الفرائض كما أمر كان وجهه مشرقاً ، مستنيراً يوم القيامة ، ومن ضيعها أو انتقص منها كان وجهه أغبر))[١].

﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾: بين الإمام الطبري معنى هذه الآية فقال: ((يقول تعالى ذكره: فما للإنسان الكافر يومئذ من قوة يمتنع بها من عذاب الله ، وأليم نكاله ، ولا ناصر ينصره فيستنقذه ممن ناله بمكروه ، وقد كان في الدنيا يرجع إلى قوة من عشيرته ، يمتنع بهم ممن أراده بسوء ، وناصر من حليف ينصره على من ظلمه واضطهده)) [٢].

فمعنى الآية: أن ليس لهذا الإنسان المنكر للبعث ، من قوة يحتمي بها من عذاب ربه ، ولا ناصر ينصره منه .

﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ﴾: أي ترجع بالغيوم ، وأرزاق العباد كل عام ، وعن ابن عباس: أن الرجع هو: المطر ، وعنه أيضاً: أنه السحاب فيه المطر ، وعنه: أن السماء تمطر ثم تمطر. وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام ، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم [٣].

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾: ذات الصدع: هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات ، وأصله الشق سمى به النبات مجازاً ، وقيل تشققها بالعيون ، قال مجاهد: الصدع ما في الأرض من شقاق وأودية وخنادق وتشقق بحرث وغيره[٤] .

وجاء في صفوة التفاسير: أن الله تعالى ((أقسم بالأرض التي تتصدع وتنشق ، فيخرج منها النبات والأشجار والأزهار قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات والثمار .. أقسم سبحانه وتعالى بالسماء التي تفيض علينا الماء ، والأرض التي تخرج لنا الثمار والنبات ، والسماء للخلق

(١) تفسير الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، ط: دار النشر : دار الفكر– بيروت ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م ، ٧/ ٢٣٣ .

(٢) تفسير الطبري: ١٥ /١٨٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٨٥/١٥ ، وتفسير ابن كثير: ٤ / ٤٣٦ .

(٤) ينظر:روح المعاني: ١٧٩/١٦.

issn :2071-6028

كالأب ، والأرض لهم كالأم ، ومن بينهما تتولد النعم العظيمة ، والخيرات العميمة ، التي بها بقاء الإنسان والحيوان))[١].

﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾: أي القرآن ، انه لقول فاصل بين الحق والباطل قد بلغ الغاية في ذلك ، كما قيل له الفرقان [٢]. جاء في تفسير ابن كثير: ((إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ: قال ابن عباس: حق، وكذا قال قتادة، وقال آخر: حكم عدل))[٣].

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾: ((أي ليس في شيء منه شائبة هزل ، بل كله جد محض ، فمن حقه أن يهتدي به الغواة ، وتخضع له رقاب العتاة ... عن علي كرم الله تعالى وجهه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنها فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله: قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ فيه الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا: سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن هدى به هدى إلى صراط مستقيم"[٤]))[٥].

وذكر النسفي في تفسير الآية: ((وما هو بالهزل: باللعب والباطل ، يعنى: أنه جد كله ، ومن حقه وقد وصفه الله بذلك: أن يكون مهيبا فى الصدور ، معظماً فى القلوب ، يرتفع به قارئه وسامعه ، أن يلم بهزل ، أو يتفكه بمزاح))[٦].

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً﴾: ((إنهم؛ أي كفار مكة ، يكيدون: يعملون المكايد في إبطال أمره وإطفاء نوره ، أو في إبطال أمر الله تعالى وإطفاء نور الحق ، والأول: أتم انتظاماً ، وهذا قيل أملأ فائدة ، كيداً: أي عظيماً حسبما تفي قدرتهم)) [١].

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني: ٣/٥٤٦.

(٢) ينظر: روح المعاني: ١٦ ، ١٧٩ ، تفسير النسفي: ٣٤٨/٤ ، تفسير البغوي: ٢٤٠/٥ .

(٣) تفسير ابن كثير: ٤ / ٦٠٥ .

(٤) قال الزيلعي في تخريج هذا الحديث: ((رواه الطبراني في معجمه ... ، ورواه ابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه والدارمي والبزار في مسانيدهم ... قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى إلا عن علي ولا نعلم رواه عن علي إلا الحارث)) وقال: ((وإسناده مجهول وفي الحارث مقال)) . تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي ، ت : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، ط: دار ابن خزيمة – الرياض /١ ، ١٤١٤هـ ، ٢١١/١ .

(٥) روح المعاني: ١٦ / ١٧٩ .

(٦) تفسير النسفي: ٤ / ٣٤٨ .

issn :2071-6028

وذكر البغوي في تفسيره: ((إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا: يخافون النبي ﷺ ، ويظهرون ما هم على خلافه))[٢] .

﴿وَأَكِيدُ كَيْداً﴾: أي أقابلهم بكيد متين ، وكيد الله: استدراجه إياهم من حيث لا يعلمون[٣].

وجاء في البحر المحيط: ((إِنَّهُمْ: أي الكافرون ، يَكِيدُونَ: أي في إبطال أمر الله ، وإطفاء نور الحق ، وَأَكِيدُ: أي أجازيهم على كيدهم ، فسمى الجزاء كيداً على سبيل المقابلة ، نحو قوله تعالى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ} ، {إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ} ، {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}))[٤] .

﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾: ذكر الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه محمد ﷺ: ((فمهل يا محمد الكافرين ، ولا تعجل عليهم، (أمهلهم رويدا) يقول: أمهلهم آناً قليلاً – أي مدة قليلة – وأنظرهم للموعد الذي هو وقت حلول النقمة بهم))[٥].

وجاء في تفسير النسفي: ((فمهل الكافرين: أي لا تدعُ بهلاكهم ، ولا تستعجل به. أمهلهم: أنظرهم ، فكرر وخالف بين اللفظين؛ لزيادة التسكين والتصبير. رويدا إمهالا يسيراً))[٦].

المبحث الثالث

التناسب بين الآيات بعضها مع بعض في سورة الطارق

أهتم بهذه المناسبة بعض المفسرين ، كابي حيان الأندلسي في تفسيره الكبير (البحر المحيط) والبقاعي أيضاً في كتابه (نظم الدرر) ، وغيرهما من المفسرين .

ومن هذا النوع ما ذكره أبو حيان في قوله تعالى: ﴿ الحجُ أشهر معلومات ﴾ قال: ((لما أمر الله تعالى بإتمام الحج والعمرة – وكانت العمرة لا وقت لها معلوماً – بين أن الحج له وقت معلوم فهذه مناسبة هذه الآية لما قبلها))[٧] .

---

(١) روح المعاني: ١٦ / ١٨٠ .

(٢) تفسير البغوي: ٥ / ٢٤٠ .

(٣) ينظر: روح المعاني: ١٦ / ١٨٠ ، تفسير البغوي: ٥/ ٢٤٠ .

(٤) تفسير البحر المحيط: ٣٤٢/٨ .

(٥) تفسير الطبري: ١٥ / ١٨٨ .

(٦) تفسير النسفي: ٤/ ٣٤٨ .

(٧) البحر المحيط: ٢ / ٩٣ .

issn :2071-6028

فهذه إشارة موجزة إلى المناسبة بين الآيات ، والتي هي محور ما سنتكلم عنه في هذا المبحث من خلال هذه السورة المباركة ، وكما يأتي:

﴿ وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ{١} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ{٢} النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾[١] :

لما أقسم الله تعالى بالسماء لما لها من الشرف والمجد؛ تنبيهاً على ما فيها من بدائع الصنع الدالة على القدرة الباهرة ، أقسم بأعجب ما فيها: وهو جنس النجوم ، ثم بأغربه: وهو المعد للحراسة؛ تنبيهاً على ما في ذلك من غرائب القدرة فقال: {والطارق} .

ولما كان الطارق يطلق على غير النجم أبهمه أولاً ، ثم عظم المقسم به بقوله: {وما أدراك ما الطارق} ، ثم زاده تهويلاً بتفسيره بعد إبهامه مرة أخرى بقوله تعالى: {النجم الثاقب} [٢].

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾:

((ولما ذكر – الباري سبحانه وتعالى – الذي دل به على حفظ القرآن عن التلبيس وعلى حفظ الإنسان ، ذكر جوابه في حفظ النفوس التي جعل فيها قابلية لحفظ القرآن في الصدور ، ودل على حفظ ما خلق لأجلها من هذه الأشياء المقسم بها على حفظ الإنسان لأنها إذا كانت محفوظة عن أدنى زيغ وهي مخلوقة لتدبير مصالحه فما الظن به ؟ فقال مؤكداً غاية التأكيد لما للكفرة من إنكار ذلك والطعن فيه: (إن كل نفس لما عليها حافظ)))[٣].

وقد ذكر الإمام الرازي في تفسيره: أن الله تعالى لما ذكر المقسم به أتبعه بذكر المقسم عليه: {إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ}[٤] ، فالباري سبحانه وتعالى أقسم: بالسماء والطارق ، وكان جواب القسم: إن كل نفس لما عليها حافظ .

ثم ذكر الرازي: ((أنه تعالى لما أقسم على أن لكل نفس حافظاً يراقبها ويعد عليها أعمالها، فحينئذ يحق لكل أحد أن يجتهد ويسعى في تحصيل أهم المهمات ، وقد تطابقت الشرائع والعقول على أن أهم المهمات معرفة المبدأ ومعرفة المعاد ، واتفقوا على أن معرفة المبدأ مقدمة على معرفة المعاد ، فلهذا السبب بدأ الله تعالى بعد ذلك بما يدل على المبدأ))[٥].

---

(١) سورة النجم الاية ١ و ٢ .

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٨ /٣٨٦ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) تفسير الرازي: ١٦ / ١٢٧ .

(٥) المصدر نفسه ١٦ / ١٢٧ .

issn :2071-6028

ويذكر سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن بعد الكلام على تفسير الآية: {إن كل نفس لما عليها حافظ} ، قال: ((ويخلص من هذه اللمسة التي تصل النفس بالكون ، إلى لمسة أخرى تؤكد التقدير والتدبير ، التي أقسم عليها بالسماء والطارق . فهذه نشأة الإنسان الأولى تدل على هذه الحقيقة؛ وتوحي بأن الإنسان ليس متروكاً سدى ، ولا مهملاً ضياعاً))[١] .

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ{٥} خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ{٦} يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾:

جاء في روح المعاني: ((قوله تعالى: فلينظر الإنسان مم خلق ، متفرع على ما قبله ، وليست الفاء فصيحة خلافاً للطيبي ، إذ لا يحتاج إلى حذف في استقامة الكلام؛ أما على تقدير أن يكون الحافظ هو الله عز و جل ، أو الملك الذي وكله تعالى شأنه للحفظ على الوجه الذي سمعت ، فلأنه لما أثبت سبحانه أن عليه رقيباً منه تعالى ، حثه على النظر المعرف لذلك مع أوصافه كأنه قيل فليعرف المهيمن عليه ينصبه الرقيب أو بنفسه ، وليعلم رجوعه إليه تعالى ، وليفعل ما يسر به حال الرجوع))[٢].

((ولما ذكر {إن كل نفس عليها حافظ} ، أتبع ذلك بوصية الإنسان بالنظر في أول نشأته الأولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه ، فيعمل لذلك ولا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته. و{مِمَّ خُلِقَ}: استفهام ، ومن متعلقة بخلق، والجملة في موضع نصب بـ: فلينظر ، وهي معلقة. وجواب الاستفهام ما بعده وهو: {خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ}))[٣].

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ{٨} يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ{٩} فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ{١٠} وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ{١١} وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ{١٢} إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ{١٣} وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾:

ذكر الإمام الرازي بعد تفسير الآية السابقة التي أشارت إلى خلق الإنسان من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب: أن حدوث الإنسان إنما كان بسبب اجتماع أجزاء كانت متفرقة في بدن الوالدين ، فلما قدر الصانع على جمع تلك الأجزاء المتفرقة حتى خلق منها إنساناً سوياً ، وجب أن يقال: إنه بعد موته وتفرق أجزائه لا بد وأن يقدر الصانع على جمع تلك الأجزاء وجعلها خلقاً سوياً ، كما كان أولاً ، ولهذا السر لما بين تعالى دلالته على المبدأ ، فرع عليه أيضاً دلالته على صحة المعاد فقال: {انه على رجعه لقادر} [٤].

---

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب ، ط: دار إحياء التراث العربي/٧ ، ١٩٧١، ٥٣٥/٨ .

(٢) روح المعاني: ١٦ / ١٧٣ .

(٣) البحر المحيط: ١٠ / ٤٥١ .

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ١٣٠/١٦ .

issn :2071-6028

وقد أشار سيد قطب إلى التناسب بين هذه الآية والتي قبلها ، فقال: ((وراء هذه اللمحة الخاطفة عن صور الرحلة الطويلة العجيبة بين الماء الدافق والإنسان الناطق ، حشود لا تحصى من العجائب والغرائب ، في خصائص الأجهزة والأعضاء ، لا نملك تقصيها في هذه الظلال. تشهد كلها بالتقدير والتدبير . وتشي باليد الحافظة الهادية المعينة . وتؤكد الحقيقة الأولى التي أقسم عليها بالسماء والطارق. كما تمهد للحقيقة التالية. حقيقة النشأة الآخرة التي لا يصدقها المشركون، المخاطبون أول مرة بهذه السورة))[١].

ثم قال: ((فهذه النشأة البالغة الدقة والحكمة تذهب كلها عبثاً إذا لم تكن هناك رجعة لتختبر السرائر وتجزى جزاءها العادل: { يوم تبلى السرائر } ... كذلك تبلى السرائر يوم يتجرد الإنسان من كل قوة ومن كل ناصر: { فما له من قوة ولا ناصر }))[٢].

وجاء في نظم الدرر: ((ولما اشتملت هذه الجمل على وجازتها على الذروة العليا من البلاغة في إثبات البعث والجزاء والوحدانية له سبحانه وتعالى إلى غير ذلك من بحور العلوم، فثبت أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى ، فثبت أن كل ما فيه حق مع منازعتهم في ذلك كله، اقتضى الحال الإقسام على حقيته فقال: {والسماء} أي التي كان المطلع الإقسام بها ووصفها بما يركد العلم بالعبث الذي الذي هو منبع العلوم والتقوى فعليه مدار السعادة فقال: { ذات الرجع }))[٣].

وذكر الرازي: أن الله تعالى لما فرغ من ذكر دليل التوحيد والمعاد ، أعقبه بقسم آخر {والسماء ذات الرجع} [٤].

وفي الظلال يذكر سيد قطب: أن هناك من يشك ، أو بقية من ريب ، تكون باقية في النفس ، في أن هذا لا بد كائن ، فمن ثم يجزم جزماً بأن هذا القول هو القول الفصل ، ويربط بين هذا القول وبين مشاهد الكون ، كما صنع في مطلع السورة :

{والسماء ذات الرجع ، والأرض ذات الصدع ، إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل}. والرجع: هو المطر؛ ترجع به السماء مرة بعد مرة ، والصدع: النبت يشق الأرض وينبثق ، وهما يمثلان مشهداً للحياة في صورة من صورها . حياة النبات ونشأته الأولى: ماء يتدفق من السماء ، ونبت ينبثق من الأرض. أشبه شيء بالماء الدافق من الصلب والترائب؛ والجنين المنبثق من ظلمات الرحم . الحياة هي الحياة والمشهد هو المشهد . والحركة هي الحركة . . نظام ثابت ، وصنعة مُعلمة ، تدل على الصانع . الذي لا يشبهه أحد لا في حقيقة الصنعة ولا في شكلها الظاهر!

---

(١) في ظلال القرآن: ٥٣٧/٨ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) نظم الدرر: ٣٩٠/٨.

(٤) ينظر: تفسير الرازي ١٦ / ١٣١ .

issn :2071-6028

وهو مشهد قريب الشبه بالطارق . النجم الثاقب . وهو يشق الحجب والستائر . كما أنه قريب الشبه بابتلاء السرائر وكشف السواتر . . صنعة واحدة تشير إلى الصانع(١).

والله سبحانه وتعالى لما ذكر الأمر العلوي بادئاً به لشرفه ، أتبعه بالسفلي فقال: {والأرض} أي: مسكنكم الذي أنتم ملابسوه ومعانوه كل وقت وملامسوه ، {ذات الصدع} أي: التي تتصدع وتنشق فيخرج منها النبات والعيون بدءاً وإعادة دلالة ظاهرة على البعث ، فجمع بالقسم العالم العلوي الذي هو كالرجل والسفلي الذي هو كالمرأة ، فكما أن الرجل يسقيها من مائه فتصدع عن الولد ، فكذلك السماء تسقي الأرض فتتصدع عن النبات ، وكما أنها تتصدع عن النبات بعد فنائه وصيرورته رفاتا فيعود كما كان فكذلك تتصدع عن الناس بعد فنائهم فيعودون كما كانوا بإذن ربها من غير فرق أصلاً(٢) .

ويذكر سيد قطب: أن في ظل هذا القول الفصل بالرجعة والابتلاء ، يتجه الخطاب إلى الرسول ﷺ هو ومن معه من القلة المؤمنة في مكة ، يعانون من كيد المشركين ومؤامراتهم على الدعوة وأهلها ، وقد كانوا في تخطيط مستمر للكيد لها والتدبير ضدها وأخذ الطرق عليها وابتكار الوسائل في حربها يتجه الخطاب إلى الرسول ﷺ بالتثبيت والتطمين وبالتهوين من أمر الكيد والكائدين. وأنه إلى حين . وأن المعركة بيده هو سبحانه وقيادته . فليصبر الرسول وليطمئن هو والمؤمنون:

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً{١٥} وَأَكِيدُ كَيْداً{١٦} فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾:

إنهم هؤلاء الذين خلقوا من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب بلا حول ولا قوة ولا قدرة ولا إرادة ، ولا معرفة ولا هداية . والذين تولتهم يد القدرة في رحلتهم الطويلة. والذين هم صائرون إلى رجعة تبلى فيها السرائر ، حيث لا قوة لهم ولا ناصر ، إنهم هؤلاء يكيدون كيداً. وأنا أنا المنشئ ، الهادي ، الحافظ ، الموجه ، المعيد ، المبتلي ، القادر ، القاهر ، خالق السماء والطارق ، وخالق الماء الدافق ، والإنسان الناطق ، وخالق السماء ذات الرجع ، والأرض ذات الصدع . . أنا الله . . أكيد كيداً . . فهذا كيد . وهذا كيد . وهذه هي المعركة.. ذات طرف واحد في الحقيقة . . وإن صورت ذات طرفين لمجرد السخرية والهزاء!.

والمتأمل في التعبير يلحظ الإيناس الإلهي للرسول: { فمهل الكافرين أمهلهم رويداً } . . كأنه هو ﷺ صاحب الأمر ، وصاحب الإذن ، وكأنه هو الذي يأذن بإمهالهم . أو يوافق على إمهالهم . وليس من هذا كله شيء للرسول ﷺ إنما هو الإيناس والود في هذا الموضع الذي تنسم نسائم

(١) ينظر: في ظلال القران ٨ / ٥٣٨ .

(٢) ينظر نظم الدرر ٣٩١/٨.

issn :2071-6028

الرحمة على قلبه ﷺ الإيناس الذي يخلط بين رغبة نفسه وإرادة ربه . ويشركه في الأمر كأن له فيه شيئاً . ويرفع الفوارق والحواجز بينه وبين الساحة الإلهية التي يقضي فيها الأمر ويبرم . . وكأنما يقول له ربه: إنك مأذون فيهم . ولكن أمهلهم . أمهلهم رويداً . . فهو الود العطوف والإيناس اللطيف . يمسح على الكرب والشدة والعناء والكيد ، فتنمحي كلها وتذوب . . ويبقى العطف الودود [١].

المبحث الرابع
تناسب السورة مع ما قبلها وما بعدها وموضوعها

سأبين في هذا المبحث تناسب سورة الطارق مع السورة التي قبلها وبعدها ، وقد ألف في هذا الموضوع علماء عديدون ، منهم البقاعي في كتابه السالف ذكره، والإمام السيوطي الذي أفرد لهذا الموضوع كتاباً خاصا أسماه (أسرار ترتيب القرآن) لم يذكر فيه نوعاً أخر من أنواع المناسبة .

ومن صور تلك المناسبة – على سبيل المثال – ما ذكره البقاعي من مناسبة سورة البقرة لفاتحة الكتاب ، فقال: ((وأما منسبة ما بعد ذلك للفاتحة فهو أنه لما أخبر سبحانه وتعالى أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم الذي هو غير طريق الهالكين ، أرشدهم في أول التي تليها إلى أن الهدى المسؤول إنما هو في هذا الكتاب ، وبين لهم صفات الفريقين الممنوحين بالهداية حثاً على التخلق بها ، والممنوعين منها زجرا عن قربها. فكان ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة ، لأنها سيقت لنفي الريب عن هذا الكتاب ولأنه هدى للمتقين ، ولوصف المتقين وما يجازون به بما في الآيات الثلاث ولوصف الكافرين الذين لا يؤمنون لما وقع من الختم على حواسهم والحتم لعقابهم ليعلم أن ما اتصف به المتقون هو الصراط المستقيم فيلزم وما اتصف به من عداهم هو طريق الهالكين فيترك ، وفي الوصف بالتقوى بعد ذكر المغضوب عليهم والضالين إشارة إلى أن المقام مقام الخوف))[٢] .

وقد جاء هذا المبحث في مطلبين :

المطلب الأول: تناسب السورة مع ما قبلها وما بعدها:

المطلب الثاني: مناسبة بداية السورة مع موضوعها .

المطلب الأول: تناسب السورة مع ما قبلها وما بعدها:

جاء في نظم الدرر: ((لما تقدم في آخر البروج أن القرآن في لوح محفوظ لأن منزله محيط بالجنود من المعاندين وبكل شيء ، أخبر أن من إحاطته حفظ كل فرد من جميع الخلائق

(١) ينظر في ظلال القران ٨ / ٥٣٨-٥٣٩ .

(٢) نظم الدرر: ١ / ٣٢ .

issn :2071-6028

المخالفين والموافقين والمؤالفين ، ليجازى على أعماله يوم إحقاق الحقائق العلائق ، فقال مقسماً على ذلك لإنكارهم له: { والسماء }))[1].

وفي البحر المحيط: أن الله سبحانه وتعالى((لما ذكر فيما قبلها تكذيب الكفار للقرآن ، نبه هنا على حقارة الإنسان ، ثم استطرد منه إلى أن هذا القرآن قول فصل جد ، لا هزل فيه ولا باطل يأتيه. ثم أمر نبيه بإمهال هؤلاء الكفرة المكذبين)) [2].

أما تناسب السورة مع ما بعدها ، فقد ذكر البقاعي: أن السورة لما تضمنت في آخرها أمره سبحانه بالإمهال والنهي عن الاستعجال الذي هو منزه عنه لكونه نقصاً ، وأشار نفي الهزل عن القرآن – إلى أنهم وصموه بذلك وهو في غاية البعد عنه إلى غير ذلك مما أشير إليه فيها ونزه نفسه الأقدس سبحانه عنه ، أمر أكمل خلقة رسوله المنزل عليه هذا القرآن ﷺ بتنزيه اسمه لأنه وحده العالم بذلك حق علمه ، وإذا نزه اسمه عن أن يدعو به وثنا أو غيره أو يضعه في غير ما يليق به، كان لذاته سبحانه أشد تنزيها ، فقال مرغبا في الذكر لا سيما بالتنزيه ، شارحا لأصول الدين مقدما للإلهيات من الذات ثم الصفات ، ثم أتبع ذلك النبوة ليعرف العبد ربه على ما هو عليه ، فيزول عنه داء الجهل ، وداء الكبر، فيعترف بالعبودية والربوبية ، فيعبده على ما يليق به من امتثال أمره واجتناب نهيه تعظيما لقدره: (سبح اسم ربك الأعلى) [3].

وذكر الإمام السيوطي: أن الله تعالى ذكر في سورة الطارق خلق النبات والإنسان في قوله: {والأرض ذات الصدع} وقوله: { فلينظر الإنسان مم خلق } إلى {إنه على رجعه لقادر} وذكره في هذه السورة – سورة الأعلى – في قوله: {خلق فسوى} وقوله: في النبات {والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى} وقصة النبات في هذه السورة أبسط ، كما أن قصة الإنسان هناك ابسط ، نعم ما في هذه السورة أعم من جهة شموله للإنسان وسائر المخلوقات [4]

المطلب الثاني: مناسبة بداية السورة مع موضوعها .

ذكر سيد قطب في هذا الموضوع: أن هذه السورة تمثل طرقات متوالية على الحس . طرقات عنيفة قوية عالية ، وصيحات بنوّم غارقين في النوم. تتوالى على حسهم تلك الطرقات والصيحات بإيقاع واحد ، ونذير واحد . « اصحوا . تيقظوا . انظروا . تلفتوا . تفكروا . تدبروا . إن هنالك إلهاً . وإن هنالك تدبيراً . وإن هنالك تقديراً . وإن هنالك ابتلاء . وإن هنالك تبعة . وإن

(١) نظم الدرر: ٨ / ٣٨٥ .

(٢) البحر المحيط: ١٠ / ٤٤٩ .

(٣) ينظر: نظم الدرر ٨ / ٣٩٨ .

(٤) ينظر: أسرار ترتيب القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل ، ت: عبد القادر أحمد عطا ، ط دار الاعتصام – القاهرة ، ١ / ١٤٩ .

issn :2071-6028

هنالك حساباً وجزاء ، وإن هنالك عذاباً شديداً ونعيماً كبيراً ». وهذه السورة نموذج واضح لهذه الخصائص ، ففي إيقاعاتها حدة يشارك فيها نوع المشاهد ، ونوع الإيقاع الموسيقي ، وجرس الألفاظ ، وإيحاء المعاني .

ومن مشاهدها: الطارق . والثاقب . والدافق . والرجع . والصدع. **ومن معانيها:** الرقابة على كل نفس: { إن كل نفس لما عليها حافظ }. ونفي القوة والناصر: { يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر }. والجد الصارم: { إنه لقول فصل وما هو بالهزل }. والوعيد فيها يحمل الطابع ذاته: { إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً . فمهل الكافرين أمهلهم رويداً! } !. وتكاد تتضمن تلك الموضوعات:« إن هنالك إلهاً ، وإن هنالك تدبيراً ، وإن هنالك تقديراً ، وإن هنالك ابتلاء ، وإن هنالك تبعة ، وإن هنالك حساباً وجزاء الخ ».

وبين المشاهد الكونية والحقائق الموضوعية في السورة تناسق مطلق دقيق ملحوظ يتضح من استعراض السورة في سياقها القرآني الجميل [١].

وهناك مناسبة أخرى قد ذكرت: أن السورة بدئت ب { والسماء } ، وختمت بها في قوله تعالى: { والسماء ذات الرجع } ، وفي أولها { ان كل نفس لما عليها حافظ } وهو وعيد ، وختمت بالوعيد في قوله تعالى: { فمهل الكافرين أمهلهم رويداً } [٢].

الخاتمة

أسأل الله العلي القدير أن يحسن خاتمتنا في الأمور كلها ، ويوفقنا في الدنيا والآخرة، والحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، الذي أعانني على انجاز هذا البحث ، **وفي الختام أستخلص النتائج الآتية:**

- سورة الطارق من السور المكية ، قد عالجت بعض الأمور المتعلقة بالعقيدة الإسلامية ، ومحور السورة يدور حول الإيمان بالبعث والنشور ، وقد أقامت البرهان الساطع والدليل القاطع على قدرة الله ﷻ على إمكان البعث ، فان الذي خلق الإنسان من العدم قادر على إعادته بعد موته .
- ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالسماء ذات الكواكب الساطعة ، التي تطلع ليلاً لتضيء للناس سبلهم ، ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، على أن كل إنسان قد وكل به من يحرسه ، ويتعهد أمره من الملائكة الأبرار: **﴿وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ{١} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ{٢} النَّجْمُ الثَّاقِبُ{٣} إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾** .

(١) ينظر: في ظلال القران ٥٣٤/٨ .

(٢) ينظر: تحقيق كتاب مراصد المطالع : للمحقق د.محمد يوسف الشربجي ،ص ٦٤ .

issn :2071-6028

- ثم ساقت الأدلة والبراهين على قدرة رب العالمين على إعادة الإنسان بعد فنائه: ﴿**فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ{٥} خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ{٦} يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ{٧} إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ**﴾ .
- ثم أخبرت عن كشف الأسرار ، وهتك الأستار في الآخرة ، حيث لا معين للإنسان ولا مصير: ﴿**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ{٩} فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ**﴾ .
- وختمت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن العظيم ، معجزة النبي محمدﷺ الخالدة ، وحجته البالغة إلى الناس أجمعين ، وبينت صدق هذا القرآن ، وأوعدت الكفرة المجرمين بالعذاب الأليم: ﴿**والسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ{١١} وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ{١٢} إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ{١٣} وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ{١٤} إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً{١٥} وَأَكِيدُ كَيْداً{١٦} فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً**﴾ .

هذا وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

issn :2071-6028

المصادر

القرآن الكريم

١. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ت: سعيد المندوب ، ط: دار الفكر ، ١٩٩٦ .

٢. أثر المناسبة في كشف إعجاز القرآن: د نور الدين عتر ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي / عدد ١٣ / ١٩٩٦ .

٣. أسرار ترتيب القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل ، ت : عبد القادر أحمد عطا ، ط دار الاعتصام – القاهرة .

٤. البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩١ .

٥. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي ، ت: تحقيق مجموعة من المحققين ، ط: دار الهداية .

٦. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي ، ت : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، ط: دار ابن خزيمة – الرياض /١ ، ١٤١٤هـ .

٧. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، ط: دار القلم/٢ .

٨. تفسير الآلوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني): محمود الألوسي البغدادي أبو الفضل ، ط: دار الفكر–لبنان .

٩. تفسير البحر المحيط: العلامة أبو حيان الأندلسى ، ط: دار الفكر ١٤١٣هـ .

issn :2071-6028

١٠. تفسير البغوي (معالم التنزيل): أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، ط: دار احياء التراث العربي ٢٠٠٢ .
١١. تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل): علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، ط: دار النشر : دار الفكر – بيروت ،١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.
١٢. تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن): محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، ط: دار ابن حزم/١ ، ٢٠٠٤ .
١٣. تفسير الفخر الرازى (مفاتيح الغيب): الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط: المكتبة التوفيقية –القاهرة.
١٤. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي ، ط: دار الكتاب العربي–بيروت.
١٥. شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ت : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت/١ ، ١٤١٠ .
١٦. الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري ، ط: دار العلم للملايين– بيروت ، ٤ ، ١٩٩٠ .
١٧. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
١٨. صفوة التفاسير: الشيخ محمد علي الصابوني ، ط: دار الرشاد ١٩٨٨ .
١٩. علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم: د نور الدين عتر ، نشر بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ، عدد ١١ / ١٩٩٥ .
٢٠. في ظلال القرآن: سيد قطب ، ط: دارا حياء التراث العربي/٧ ، ١٩٧١.

issn :2071-6028

٢١. الكشكول: الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي ، ت : محمد عبد الكريم النمري ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان /١، ١٤١٨هـ –١٩٩٨م .

٢٢. اللآلي في شرح أمالي القالي: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ، ت: عبد العزيز الميمني ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت / ١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

٢٣. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط:دار صادر– بيروت/١.

٢٤. محاضرات في علوم القرآن: د.فضل حسن عباس، ط: دار النفائس–عمان/١ ، ٢٠٠٧.

٢٥. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ت: محمود خاطر ، ط: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، ١٩٩٥.

٢٦. مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، ت: محمد يوسف الشربجي ، ط: دار الكلم الطيب/١ ، ٢٠٠٧ .

٢٧. مصارع العشاق: أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسيني السراج القارئ ، ت : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، أحمد رشدي شحاته ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت / ١ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨ م .

٢٨. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، ت: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، ط: مكتبة العلوم والحكم – الموصل/٢ ، ١٩٨٣ .

٢٩. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت : عبد السلام محمد هارون ، ط: دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٠. المناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية: د.مصطفى شعبان عبد الحميد ، ط: المكتب الجامعي الحديث ، ٢٠٠٧ .

issn :2071-6028

٣١. نصب الراية لأحاديث الهداية: عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي ، ت : محمد يوسف البنوري ، ط: دار الحديث – مصر ، ١٣٥٧ .

٣٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، ت: عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥.

issn :2071-6028